تقـديم

رحم الله السابقين الأولين من المؤلفين حيث أتاحوا لنا معايشة طائفة كانت ترصد الموائد والطعوم كما يرصد الفلكيون الكواكب والنجوم .

وإذا كانت الفاكهة ضرورية بين ألوان الطعام ، فإن الفكاهة لون لا يُستَغنى عنه بين ألوان العلم والتاريخ والأدب .

و « **التّطْفِيل** » و « **الطفيليون** » ظاهرة جذبت انتباه عمالقة التأليف من أمثال : الجاحظ ، وابن عبد ربه ، والخطيب البغدادى ، وابن قتيبة ، وبديع الزمان الهمذانى ، فراحوا يفردون لها أبوابا فى أمهات كتبهم ومؤلفاتهم ، يقدمون فيها طائفة من النوادر الطريفة ويستخلصون منها العبرة ، وينقلوننا من العلم إلى الأدب إلى الفكاهة ، إلى الفلسفة ، ثم إلى الحياة المرحة حياة « التطفيل » وكيف لا ، وصورة « الطفيلى » ـــ وقد دعا نفسه إلى الطعام دون أن توجّه إليه دعوة ـــ ماتزال تبعث فى النفس ألوانا من السخرية والضحك والمرح والتفكه ؟!

وما أشد حاجتنا اليوم إلى لحظات استجمام من ضغوط الحياة ، وشتى ألوان المعاناة !

ولم تزل أفاضل الناس وأكابرهم تعجبهم المُلَح ، ويؤثرون سماعها ، ويَهَشُّون إلى المذاكرة بها ، وما ذاك إلا لأنها جِمامُ النفس ، ومُستراح القلب ، وإليها تُصغى الأسماع عند المحادثة ، وبها يكون الاستمتاع فى المؤانسة .

وما أصدق ما قاله الأصمعى :

« **النوادر تشحذ الأذهان ، وتفتح الآذان !** »

وإنك لواجد فى هذا الكتاب عرضاً جديداً لأخبار الطفيليين ، وأول من سمى به فى ماضى السنين إلى غير ذلك من نوادر فائقة ، وأشعار رائقة .

إنه رحلة إلى عالم ملىء بالأخبار والأسرار ، تتابع فيه الطفيليين من دار إلى دار ، وهم يَتَشمّمون هنا وهناك رائحة القُتار ، لا يهدأ لهم بال ، ولا يستقر لهم قرار !!

وأملى أن أكون قد وفقت فيما اخترت ، وأحسنت فيما عرضت !

والله ولى التوفيق .

أولاً : المؤلف

أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف الأقفهسى، ثم القاهرى ، الشافعى ، ويعرف بابن العماد شهاب الدين أبو العباس . فقيه مشارك فى بعض العلوم .

ولد قبل ٧٥٠ هجرية ، وتوفى فى إحدى الجمادين . صنف التصانيف نظما ونثرا منها :

١ ـــ كشف الأسرار عما خفى على الأفكار .
٢ ـــ عدة شروح على «**منهاج العارفين**» فى فروع الفقه الشافعى .
٣ ـــ نظم الدرر من هجرة خير البشر وشرحها .
٤ ـــ آداب الطعام .
٥ ـــ أحكام الحكم فى شرح الحكم العطائية .
٦ ـــ توقيف الحكام على غوامض الأحكام .
٧ ـــ السر المستبان مما أودعه الله من الخواص فى أجزاء الحيوان
٨ ـــ التبيان فى آداب حملة القرآن «منظومة» .
٩ ـــ «نيل مصر ـــ خ» فى مكتبة الحرم المكى .
١٠ ـــ «الذريعة فى أعداد الشريعة ـــ خ» .

نسبته إلى أقفهس من عمل البهنسا بمصر .

ثانياً : الكتاب

أخبار التطفيل والطفيليين نجدها متناثرة فى كتب التراث ، فلا يكاد يخلو كتاب من طرائفهم ونوادرهم .

ولقد تصدى الخطيب البغدادى للتطفيل وحكايات الطفيليين ، وأخبارهم ، ونوادرهم ، وأشعارهم فى القرن الخامس الهجرى على طريقته من ذكر السند وإن طال ـــ مما قد يدفع بالقارىء إلى الملل فى سبيل الوصول إلى النادرة .

ولكن جاء بعده « **العماد الأقفهسي** » فى القرن الثامن الهجرى وبداية التاسع فقدم لنا هذا العرض الجميل و « **القول النبيل بذكر التطفيل** » ! مستفيداً من خبرة الحافظ المؤرخ البغدادى ، وابن عبد ربه ، والجاحظ وابن قتيبة ، فأحسن العرض ، وأجاد التأليف ، وجاء على الصورة التى تُسهم فى متعة القارىء دون إملال ، أو إخلال !

لقد جرد النص ما استطاع من أسانيده رعاية لطبيعة الموضوع ، وحرصا على جذب انتباه القارئين ، وقدمه فى أربعة وعشرين بابا حلق فيها حول كل ما تناولته كتب السابقين ، وما يدور بخلد اللاحقين فى موضوع التطفيل ، فأجاد وأفاد ، وأقنع وأمتع ، وأحسن وأبدع !

من حق الإنسان ، وقد طحنته الحروب ، وشغلته مشكلات الحياة أن يستروح بشيء من التفكيه ، لتكون الراحة لذلك الجد جماماً .

وما علينا من حرج فى أن نرفه به أنفسنا ، ونسلى عنها لنعود إلى ما كنا فيه من جد وعمل !

وأحاديث التطفيل والمتطفلين باب من أبواب أدبنا العربى ولقد ذكر العرب الأشياء بأسمائها :

فمن يتعرض لطعام الناس من غير أن يدعى إليه فهو « **الطفيلى** » .

أما الداخل فى شرابهم من غير دعوة كذلك فيدعى « **الواغل** » .

ومثلها «**الدّعِيّ**» وهو الداخل فى نسب القوم وليس منهم والطفيليون نسبة إلى رجل يدعى «**طفيل العرائس**» ولقد زعموا أنه أولهم فإليه كانت نسبتهم .

وأكبر الظن على أن التطفيل قديم جدا قدم الشّرَهِ فى الإنسان ، وهوان نفسه عليه ، وتطلعه إلى ما ليس له ، ولو كان طعاما ، وتهافته عليه مُشَايَعةً لشهوة البطن مهما ناله فى ذلك من مكروه أدبى أو مادى .

وربما كان عقد لواء الأولية فى هذا الباب لـ «طفيل العرائس» لأنه أول من شرع آدابه ، واستفتح بلطف الحيلة أبوابَه ، وقَعّد قواعده ، وأصّل أصوله ، وفرع فروعه ، وفصل فصوله ، ومن روائع حكمه ، وجوامع كلمه ما قال يوصى به صحبه :

«**إذا دخل أحدكم عُرسا فلا يتلفت تلفت المريب ، ويتخير المجالس ، وإذا كان العرس كثير الزحام فليمعن ، ولا ينظر فى عيون الناس ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل ، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة .**

فإذا كان البواب غليظا وَقَاحاً فليبدأ به ويأمره وينهاه من غير أن يعنف عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال»

وسوف يجد القارىء أن التطفيل قديم ، ولكن أساليبه تتشكل وتتلون فى كل عصر وفى كل إقليم طوعا لما يجرى من العرف والعادة وغير ذلك من الأسباب .

والسمة الغالبة على أهله هى : الشره ، وحدة الوجه ، ولؤم النفس ، وهوانها على صاحبها وعلى الناس فما يدفع إلى التطفيل إلا هذه الخلال .

أما الصفات التى يحتاج إليها الطفيلى وتعد أهم وسائله : فهى خفة الروح فإن أعوزته فالتظرف بالقدر المستطاع ، وسعة الحيلة ولطف المدخل ، وحسن السمت ، ونظافة الثوب ، وحضور الذهن ، وبراعة النكتة ، فإذا اجتمع إلى هذا وذاك إلمام بالأدب وبالسير ، وإذا ضمت إليهما القدرة على ارتجال الشعر ما دعت مناسبات الطعام فذلك والله الطفيلى التام !

وإذا كان أدبنا العربى قد جلا على الناس كل ما فى هذا العالم من جميل وبديع فى ظواهر الأشياء وبواطنها ؛ فإنه ربما مال إلى القبيح فى ظاهره وباطنه معا فسوى منه

صورا لها جمالها ولطفها فى باب التمليح والتفكيه !

أليس البخل فى الناس قبيحا جدا ، ومع هذا يأبى الأدب إلا أن يجعل من البخل والبخلاء بابا من أوسع أبوابه ، وأبلغها فى إعجابه وإطرابه !

والتطفيل ولاشك أقبح من البخل وأكره وأرذل ، ومع هذا نال حظه من الأدب .

وسوف نتوقف عند نوادر الطفيليين ، وربما يبدو أن بعضها ليس إلا حديثا مصنوعا ، لسعة خيال الرواة ، ولكنها على أى حال تعطينا صورة لمهنة التطفيل ، ومهارة أصحابه فيه .

أليس رائعا وجميلا أن تعيش مع طائفة من ملحهم ونوادرهم ، وما قيل فيهم ، وما قالوه فى أنفسهم ، وردودهم على من عاب عليهم تطفيلهم ، ولطف احتجاجهم لاقتحامهم على الناس موائدهم ، وتهافتهم على طعامهم من غير دعوة إليه ، وتعرضهم فى هذا لألوان المكروه من الشتم والسب والطرد والضرب .

وقد ظل الطفيليون المحترفون يمارسون وجودهم حتى الجيل الماضى ، ثم خلا وجه البلاد منهم بذهاب العادة التى كانت شائعة فى بلادنا إلى وقت قريب ، وهى إقامة الأعراس (الأفراح) وما إليها مما كان المصريون يتنافسون فيه ، ويتكاثرون به فى المناسبات المختلفة من نحو العودة من الحج ، وختان الولد ، وولادة البكر من البنين وغير ذلك .

ولقد كان الطعام يقدم على أخونة «الصوانى» يرص حول كل منها من نحو ثمانية إلى اثنى عشر .

وتختلف ألوانها باختلاف درجات المدعوين وأفخرها مايصدر بالحمل (القوزى) أو الديك الرومى .

ويسلك فيه الحمام والفراريج تطهى على أشكال . وتقرب «المسبكات» من ألوان الخضر .

ويستكثر من صنوف الحلوى .

ويخص أخيرا بالفاكهة . ودون هذا ما يُصَدّر بالضلع .. ـــ!

وهكذا إلى أن تقتصر مطالع الموائد على القطعة من اللحم لا يملأ نصيب الآكل منها الكف .

وهذه الموائد تعد لعامة الناس !

والطفيلى لايقنع بالوجبة على المائدة ، بل يدس فى جيبه كل ما تيسر له من اللحم ، والمحاشى ، والحلوى ، والفاكهة ، يحمل ذلك كله معه طمعا وجشعا وتحسبا ليوم لا موائد فيه !

كل ذلك تجده فى «**القول النبيل بذكر التطفيل**» ولقد حاولت جهدى أن أحسن عرضه ، وأجلو غامضه ، وأقدمه للقارىء فى أجمل صورة راجيا أن أكون قد وفقت فيما قصدت ، وأن تستمتع بالقول النبيل بذكر التطفيل .

مخطوطات الكتاب

مدى علمنا أن هذا الكتاب لم يسبق طبعه ، وليس هناك ما يمكن الاعتماد عليه غير التطفيل للحافظ المؤرخ الخطيب البغدادى

والكتاب له مخطوطتان تكادان تشتركان فى الملامح والصفات الجوهرية مما يوحى بأن إحداهما اعتمدت على الأخرى أما المخطوطة الأولى فرقم ٩٦٠ أدب تيمور على ميكروفيلم رقم ٢٣٦٠ .

عدد الصفحات : ٤٣ عدد السطور بكل صفحة ٣٢ سطرا

المخطوط بخط جيد ومقروء ، وروعيت فيه بعض علامات الإعراب

أما المخطوطة الثانية

فتحت رقم ١٩٤/ الزكية

عدد الصفحات ٦٩ عدد السطور بكل صفحة ٢١ سطرا

مصطفى عاشور

القاهرة فى جمادى الأولى ١٤٠٩هـ
ينـــــايـــر ١٩٨٩م

كتاب المدخل النبيل بذكر التطفيل

١ الباب الأوّل في معنى التطفيل في اللغة وأوّل من نسب اليه

٢ الباب الثاني فيما كان يُدعى به التطفيل في الجاهليّة

٣ الباب الثالث في الموائد وآدابها

٤ الباب الرابع في الخبز والرقاق وما قيل فيهما

٥ الباب الخامس في اللحم وانواعه

٦ الباب السادس في الصدور والأوراك

٧

٨ الباب الثامن فيمن دُعي الى طعام فأراد أن يستصحب

٩ الباب التاسع فيمن أطعم على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

١٠ الباب العاشر فيمن عرف بالأدب واعتنى بأهله وذاهم بالبيت

١١ الباب الحادي عشر في التطفيل على من أتى طعاما لم يُدْعَ اليه وذكر آداب الضيافة

١٢ الباب الثاني عشر فيمن عاب التطفيل ولم يصرّح

١٣ الباب الثالث عشر فيمن أُدعي الى طعام فسبقه اليه رجل فأكله

١٤ الباب [illegible] فيمن [illegible] وجعل [illegible] ذلك

١٥ الباب [illegible] في الأخبار الحكايات والشعر في الوصاة

١٦ الباب [illegible] في أخبار الظاهر وأهل العلم والأدباء

١٧ الباب [illegible] وصايا الحريصين

١٨ الباب [illegible] في أخبار ياذ الطفيلي بالبصرة وما حفظ منه في يوم التطفيل وأحكامه

١٩ الباب التاسع عشر في الضيافة والضيف وما قيل في ذلك من الشعر والنجوم الفلاية

٢٠ الباب العشرون في سمع القناعة

٢١ الباب الحادي والعشرون فيمن ذمّ التطفيل وأصحابه وعابهم غيره وعابه

٢٢ الباب الثاني والعشرون في أشعار الطفيليين

٢٣ الباب الثالث والعشرون في غرر نوادر الحكايات

٢٤ الباب الرابع والعشرون في شيء من ملح الحكاية والأطباء في الاقلال من الطعام

أكاديمية سيمرر
٥٦٠

الصفحة الاولى من المخطوطة

مقدمة المؤلف

الحمد لله ، الكريم المنان ، الواحد الفرد ، ذى الجود والإحسان !

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، مالك الملك الدَّيان ، الذى ميزّ بين عباده ، وخصّ من شاء منهم بوافر البُرهان .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذى خصّ أمته بمزيد الغُفران .

صلى الله عليه ، وعلى آله وصَحْبه ، وشيعته ، ووارثيه[1] وحِزْبه ، ما ترنحت أعطاف البان[2] ، وتمايلت عرائس غرائس[3] الرياض ، برياح البُكروالآصال[4] فى كل زمان ، وسَلِّم تسليما كثيرا .

وبعـــد ..

فهذا كتاب ظريف ، محتوٍ على معنى لطيف جمعته فى : أخبار الطفيليين وأول من سمى به فى ماضى السنين إلى غير ذلك من نوادر فائقة ، وأشعار رائقة وسميته :

« القول النبيل بذكر التطفيل »

ورتبته على : « أربعة وعشرين بابا »

فأقول :

الباب الأول ـــ فى معنى التطفيل فى اللغة ، وأول من نسب إليه .

الباب الثانى ـــ فيمن كان يُسَمّى طُفَيْلِيًّا فى الجاهلية .

الباب الثالث ـــ فى الموائد وآدابها .

الباب الرابع ـــ فى الخبز والرقاق .

---

(١) وارثيه : وارثى سنته وشريعته ، من شيعته وأنصاره ، وآل بيته الأطهار . أما الميراث المادى فقد قال ﷺ : **« نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة »** .

(٢) البان : شجر معتدل القوام ، يميل مع النسيم حيث يميل فى خفة ورشاقة وورقه كورق الصّفصاف ، ويشبه به الحسان فى الطول واللين .

والأعطاف : جمع عِطف . وعطف كل شئ جانبه . وترنحت : تمايلت ذات اليمين وذات الشمال .

(٣) الغرائس : الأشجار المغروسة . وعرائس الروض : أشجار الحدائق الجميلة التى تشبه العرائس فى جمالها وتمايلها .

(٤) البُكَر : جمع بُكرة : أول النهار والآصال : جمع أصيل . الوقت قبيل المغرب . والمراد : الصلاة على النبى فى كل وقت وحين .

الباب الخامس ــ فى اللحم بأنواعه **الباب السادس** ــ فى القدور والألوان .
الباب السابع ــ فى الحلوى بأنواعها .
الباب الثامن ــ فيمن دعى إلى الطعام ، فأراد أن يستصحب غيره .
وأن السنة استئذان الداعى له فى ذلك .
الباب التاسع ــ فيمن طَفَّل على عهد رسول الله ﷺ
الباب العاشر ــ فيمن حمد التطفيل ، واحتج لأهله ، وذكرهم بكل جميل .
الباب الحادى عشر ــ فى التغليظ على من أتى طعاما ، ولم يُدْعَ إليه .
الباب الثانى عشر ــ فيمن عرّض بالتطفيل ، ولم يصرح .
الباب الثالث عشر ــ فيمن أحبّ تطفيل غيره ، فسهل السبيل إليه .
الباب الرابع عشر ــ فيمن صرف إلى التطفيل همه ، وجعل ذلك صناعة وحرفة .
الباب الخامس عشر ــ فيمن منع من الدخول فاحتال وتسبب إلى الوصول .
الباب السادس عشر ــ فيمن طَفّلَ من الأشراف ، والأكابر ، وأهل العلم والأدب .
الباب السابع عشر ــ فى وصايا الطفيليين .
الباب الثامن عشر ــ فى أخبار «**بنان**» الطفيلى، وشأنه بالبصرة، وما حفظ عنه من رسوم التطفيل ، وحدوده ، وأحكامه .
الباب التاسع عشر ــ فى الضيافة والضيف .
الباب العشرون ــ فى القناعة .
الباب الحادى والعشرون ــ فيمن ذم التطفيل وأصحابه ، وهجابه غيره ، وعابه . **الباب الثانى والعشرون** ــ فى أشعار الطفيليين .
الباب الثالث والعشرون ــ فى غرر نوادر طعاميات .
الباب الرابع والعشرون ــ فى نكت الحكماء والأطباء فى الإقلال من الطعام .
وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .